المسكوتُ عنه في رواية سؤال النار لعلي لفته سعيد
قراءة تأويلية صوتية

أ.م.د. علي عواد ميزر،
قسم اللغة العربية، كلية التربية الأساسية، جامعة المثنى
draliawad@mu.edu.iq
أ.م.د. واثق حسن مجهول الحسناوي،
قسم اللغة العربية، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة المثنى.
Wathiq.hassan@mu.edu.iq

تاريخ الإرسال: 2025/5/30	تاريخ القبول:2025/07/08	تاريخ النشر: 2025/07/15

Abstract

The novelist does not differ in his gesture from those who preceded him who wrote in the field of the strange novel or magical realism, which arouses the amazement of the recipient with the skill of unnatural or expected imagination, which raises the astonishment and question of the recipient or reader. The skill of conjuring imaginary characters through imagination and interrogating or evoking them has been found in abundance in our Arab heritage, as the hero of the narrative experiences a fit, tremor, or trembling that leads to the disruption of the hero's mental systems. The main event is the explosion, and the beginning of the problem is the hero's question about the reason for his father's martyrdom without fault in this explosion, which reflected the image of the ideological struggle for power. The hero never gets tired of asking questions that are silent about in history, and he lives in his intellectual, philosophical, and doctrinal struggle, which is what prompted us to uncover the silences in this novel. The study of which we divided into two sections: the first of which includes a definition of the silences in language and terminology and the most important main and secondary characters in the novel. Then the second section, which included an analysis of the models of questions that the hero posed to the sheikh of history to answer what was left unsaid. Mardouf explained the

results that the study reached, so the list of footnotes, then the sources and references that the researcher relied on. We should not ignore the approach that the researcher followed in this study, which is the approach of interpretive analysis. And from God, success.

مُلخّص البحث

لا يختلف الروائي علي لفته عما سبقه ممن كتبوا في مجال الرواية الغرائبية أو الواقعية السحرية، التي تثير دهشة المتلقي بتقانة الاصوات التي يتم استعمالها في التخييل غير الطبيعي أو المتوقع، ما يثير دهشة وسؤال المتلقي أو القارئ، فتقانة استحضار الشخصيات الخيالية عبر التخييل واستنطاقها أو استحضاراها صوتيا، وجدت في تراثنا العربي وبكثرة، إذ تنتاب بطل السرد نوبة أو رعشة أو رعدة تؤدّي إلى خلخلة النظم العقلية لدى البطل. فالحدث الصوتي الرئيس هو حدث الانفجار، وبداية المشكلة هو سؤال البطل عن سبب استشهاد والده من دون ذنب بهذا الانفجار، الذي عكس صورة الصراع العقائدي على السلطة. فالبطلُ لم يكلّ أو يملّ من طرح الاسئلة المسكوت عنها في التاريخ، وهو يعيش في صراعه الفكري الفلسفي العقائدي،وهو ما دفعنا للكشف عن المسكوتات في هذه الرواية .والتي قسمنا الدراسة فيها على مبحثين: الأول منها، تضمن ماهية المسكوت عنه واهم الشخصيات الرئيسة والثانوية في الرواية، ثم المبحث الثاني الذي ضم تحليلا لأمثلة الاسئلة التي طرحها البطل على شيخ التاريخ للاجابة عن المسكوت عنه، مردوف بالنتائج التي توصلت اليها الدراسة، ومن ثم قائمة الهوامش ثم المصادر والمراجع التي اعتمد عليها في هذه الدراسة من الباحثين. ولا نغفل المنهج الذي اتبعه كل من الباحثين في هذه الدراسة، وهو منهج التحليل التأويلي. ومن الله التوفيق.

الكلمات المفتاحية: (المسكوت، سؤال النار، رواية،علي لفته، تأويل، صوت) .

المبحث الاول: ماهية المسكوت عنه واهم الشخصيات الرئيسة والثانوية في الرواية

- **السكوت: لغة واصطلاحا:**

السكوت (لغة): السكت خلاف النطق والتواصل في الكلام، وهو الإقحام المرغم والمقصود من قبل المرسل للمتلقي.

والسكيت الرجل الذي يحسن فنون الكلام والجمال الصوتي البلاغي إلى درجة السكت عنه والمسكوت على وزن مفعول، من سكت سكتا وسكوتا صمتا.

والسكوت: السكون والصمت والهدوء، وسكت الغضب: سكن[1]. والمسكوت (اصطلاحا): المسكوت عنه جملة من العناصر: الساكت/ المتلقي، والمسكوت عنه/ الشفرة/ الرسالة، والسكّيت: الذي فرض السكوت عليه، والسكوت: الحالة النفسية والاجتماعية التي يعيشها المتلقي الساكت رغما عنه .[2]

إن إشكالية القراءة ((لا تقف عند حدود اكتشاف الدلالات في سياقها التاريخي الثقافي الفكري، بل تتعدى ذلك الى محاولة الوصول إلى المغزى المعاصر للنص التراثي في اي مجلا معرفي)).[3]

الحكاية:

إن مقتل والد البطل شكّل لديه عقدة الاسئلة عن المسكوت عنه في التاريخ التي تسببت في مقتل والده فيحسب ما يتخيله واقعاً؛ لكثرة توتره النفسي أزاء حدث من الأحداث وبأي شكل من الأشكال، ويصف ذلك الروائي علي لفته في روايته سؤال النار.

وتدور الحكاية حول حادثة التفجير التي يفقد البطل والده فيها على أثر تفجير ارهابي في شارع المتنبي من دون أن يعرف سبب استشهاده فمرّة يتخيل التاريخ على هيئة شيخ كبير ويحاوره وسائله عبر الغرائبية التي عدّها استاذنا الدكتور شجاع العاني جزءا من الأدب، إذ ذكرت على لسان كبار النقد في التراث العربي كالجاحظ والجرجاني وابن قتيبة وغيرهم، ومرّة ينتقي بعض كتب التاريخ التي يبيعها ليقرأها خلال أوقات فراغه الطويلة المرتبطة بالعمل الذي عناه قصدا رغما عنه بعد وفاة والده وتوسطت والدته لأحد اقربائها للعمل في بيع الكتب قرب باحة أحدى المكتبات على الرصيف، وبهذا استطاع الكاتب أن يغير مسرى السرد عبر تقانتين مهمتين هما: الواقعية والسحرية، بحسب مدرسة بورخيس ماركيز في (مئة عام من العزلة).

فيقول: ((فمقتل أبي على مبعدة أمتار مني أمر كل يوم وأقرأ الفاتحة وانشّط وجود الأسئلة في رأسي)).[4] إن هذا البوح الصوتي المنولوجي الحجاجي عبر عن المسكوت عنه في التاريخ الانساني من خلال استعماله الاصوات التي اضافت إيقاعاً مجلجلاً فحوّلت بعض الفتاوى الدوغمائية إلى

مقاصل لمن يعترض عليها إذ تكرر صوت الميم ستة مرات، وهو صوت صامت مجهور شفوي، مع تكرار لصوتي الراء اربع مرات واللام مرتين، مما شكل قيمة صوتية خاصة، لأن الراء واللام والميم من الحروف التي يسهل مجاورتها لأي حرف من حروف الهجاء من دون أن يتعسر فيها النطق، فضلاً عن وجود صوت المد الياء مما جعلها أكثر التصاقاً بالسمع[5]، والتي ساعدت الكاتب علي لفته على بيان المسكوت عنه في التاريخ العربي والإسلامي للمتلقي فالتعموية التي مارسها فقهاء العصر العباسي، اسست لصراع فكري عقائدي اجتماعي مازلنا نعيشه إلى لحظة الانفجار بالمخفخات.

إن صراع الفرق الاسلامية حول التفسير والتأويل بغية الاستحواذ على السلطة بمختلف الأساليب والطرائق، وأن كانت خارجة عن الإسلام بتغييب العقل وتسليط القداسة الخرافية، هذا التمايز بين مفهوم " التاويل " و " التفسير " من حيث الدلالة قد تم((توجيهه في مرحلة متأخرة في معركة الصراع الايديولوجي بين الفرق والاتجاهات الفكرية والدينية المختلفة .

وغالبا مع سيادة المذهب الاشعري واتخاذه المذهب الرسمي للدولة بعد القضاء على الاعتزال مع اوائل القرن الخامس على اساس مذهبي فضاء التفسير هو ما تقدمه المذهب الرسمي من تأويلات وأصبح ما يقدمه الخصوم تأويلا زائفا عن الحق والصحة)) .[6]

فحادثة الانفجار الطائفي الاعمى واللاواعي بسبب المسكوت عنه في التاريخ هي بسب غموض كلمة الجهاد بين الفرق الاسلامية والعهود الجاهلية، فالجهاد في مفهوم ما قبل الإسلام كان يعني((بذل كل ما في الوسع والطاقة في قول أو فعل في محاربة الاعداء ..والجهاد في القرآن الكريم ورد بمعنى ((بذل كل ما في الوسع والطاقة من قول وفعل او بذل في مواجهة الاعداء وقتالهم لاعلاء كلمة الله))[7]، هي التي أودت بحياة والده من دون سبب أو ذنب جعل البطل يعيش في حالة من الصراع كما جاء على لسانه،إذ يقول: ((اكثر من ثلاثة اسابيع وأنا اعيش في واقع جدي لا يمكن مغافلته أو التخلص والتملص منه، واقع لا يشبه الا نفسه ولا يصدقه أحد حتى انا))[8]. فالكاتب هنا اراد أن يوهم المتلقي بمصداقية ما يحدث للبطل، وهذا غاية السرد ومهمته هي الإقناع والاستمالة عبر التشويق والتصديقي باستعمال الأصوات التي تناسب الحدث فهذه المقدمة الاستشرافية يعطي الكاتب فيها رؤية الولوج في عالم روايته عبر هذه

الايحاءات الصوتية الكنائية التي تستدرج المتلقي الى شباكها، عبر التفاعلية النفسية والايهامية التخييلية،التي تجعل من البطل يعيش في حالة تناقض وازدواج وتشظي هووي وزمكاني واجتماعي ونفسي،وهو ما اكده بقوله: ((اعيش في حالتين متناقضتين: الأولى مع أمي وزوجتي، أو مكان عملي حيث العشرات أن لم أقل الالاف من الناس، الذين انتقدهم وأنا بكامل قواي العقلية، والثانية أن حالة المعايشة الجديدة لأبدو الرجل او الشاب الضائع)).[9] وبقوله:((هل بت مشمئزا مما انا فيه او خائفا مما سياتي.. هل يصنع الفوضى للعقول من اجل الا تفكر؟)).[10] ويقول أيضا: ((ما الذي فعتله بنفسي لأغضب عليها ؟ ما لذي فعتله بها ياذا الاسماء؟)).[11]

- **سؤال الرواية:**

إن الازدواج والتناقض والتوتر الذي يعيشه البطل جراء الاسئلة التي يكتظ بها رأسه وتتزاحم في حالة صدام وصراع حول المسكوت عنه في التاريخ العربي والاسلامي، بررره الكاتب عبر قناع البطل بقوله:((أنا شاب سكنته محنة السؤال الذي اخذ يشاطرني في التفكير وتتقاسم معي يومي ولحظاتي. السؤال الذي تشظى وتمرد وصار اشبه بجسد نفخت فيه من روحي، ليبدو لي في النهاية شيئا مجسما أمامي . لماذا نحن نعيش في صراع من المسؤول ؟ لماذا كل هذا الموت قتلا واغتيالا ؟لماذا نكره الحياة ونتاجر بالموت؟)).[12] فأسئلة البطل ذات الاصوات الرنانة المتناغمة والممدودة(الألف، الواو، الياء، اللام، النون، الراء)، هي اسئلة الراوي العليم العقلانية، الذي يعيش معاناتها يوميا من دون أن يبيح بها فتحول من دون تحرر المتلقي من صرامة النص التراثي وقداسته. لذلك يعتقد " دريدا " إنه ((يجب التخلص من العقل (الايديولوجي الاداتي)، ذلك لكونه خلق حول نفسه تمركزات شكّلت اساسا، يمكن زعزعتها وتقويضها، بوصفها اضفت على نفسها طابع القداسة، ومن هنا تشكّلت فكرة الخلاص من اللوغوس، وبالتالي تخليص الفكرة من هيمنته)).[13]فيسأل البطل : " من المسؤول عن الصراع أو القتل والاغتيال وكره الحياة والمتاجرة في الموت .؟ وحينما لا يجد حلا أو جوابا لأسئلته يلوذ ببعض الكتب التاريخية التي قرأها وتعلق بها إلى درجة الادمان . وبهذا قد ربط الكاتب ما بين التخييل والقراءة ليكونا فيما بعد الثيمة الرئيسة لإقامة سرده على الحوار ما بين البطل وشيخ التأريخ وأمه وزوجته وجيرانه واصدقائه أو البطل وكتبه التاريخية التي قرأها .

الوظيفة والسؤال:

إن عمل البطل في بيع الكتب في شارع المتنبي جعلت منه البائع المشهور والمتخصص في بيع الكتب التاريخية،في إشارة إلى تعلق وتعمق البطل في التأريخ بحثاً عن المسكوت عنها، إذ يقول: ((صرت مشهورا في الشارع (المتنبي) المتخصص بكتب التاريخ وبعض كتب الاجتماع المتعلقة بالتاريخ مستبعدا كتب الأدب والسياسة والجغرافية والسحر والطبخ والطالع)).[14]،ويقول أيضاً:((الوذ بكل الكتب التي قرأتها حتى خيل إلي أني مهوس وتعلقي فيها صار اشبه بمن اصيب بداء القراءة لنوع معين)).[15]

إن تعلق البطل بقراءة الكتب التاريخية بحثا عن اجابة للمسكوت عنه جعله يتخيل التاريخ بهيئة رجل كبير في السن لحاوره وسائله، ليجب له عن المسكوت عنه في التاريخ العربي والإسلامي. لذلك تمنى أن يجرى معه لقاء تلفزيونيا ليطرح اسئلته بكل حرية واريحية عن المسكوت عنه كما يقول: ((كنت اتمنى لو اجرت أحدى الفضائيات لقاء معي لأتحدث فيه عن انفجار الشارع وأثره على سيكولوجية ذوي الضحايا أو أتحدث لهم عن أثر كتب التاريخ في صراع الحاضر والحضارات والمستقبل الغامض، اتحدث لهم عن الاسئلة التي يخاف الناس من اطلاقها مخافة الاتهام بالردة والزندقة، أتحدث لهم عن أثر الفقه في عملية التشويه للتفسير العقلاني)).[16]

وربما يشير الكاتب بالأصوات التي استعملها بطله المقنّع إلى الدوكما والاليغورية والمركزية للخطاب الإعلامي المتواطئ مع السلطة إذ تحول الإعلام إلى وسيلة من وسائل السلطة للتغطية عن المسكوت عنه، فلم يكن للارهاب وجودا((لولا وسائل الإعلام الجماهيرية، ليس هناك استخدام جيد لوسائل الاعلام، فوسائل الاعلام تؤلف جزء من الحدث انها تؤلف جزءا من الرعب وهي تقوم بدورها في هذا الاتجاه أو ذاك)) .[17] فاذا كانت المذهبية القائمة على التعصب تؤدّي إلى ((التغريب بما تفرزه من خرفات واساطير، فان الراديكالية تزيد من التزام الفرد بالموقف الذي اختاره، ولذلك فهو يجد نفسه متطرفا في العمل من اجل تغيير الواقع الموضوعي، وعكس ذلك تماما فلأن المذهبية تموه الواقع ولا تستند على اسس عقلية، فإنها تجنح إلى التزييف والتزوير وهي في كل الظروف تمثل عقبة كأداة في طريق بتحرير الجنس

البشري، ولكن ذلك لا يعني أن النزعة الراديكالية في جميع الظروف تتمخض عن عمل ثوري، اذ ليس نادرا ان يتحول الثوريون الى رجعيين بعد وقوعهم في اسار المذهبية، وذلك خلال عملهم في مواجهة المذهبية اليمينية)).[18]ولذلك هو بحث عن وسيلة أخرى -كثغرة تقانية- يدخل من خلالها إلى السرد، وتكون محور سرده الصوتي وعماده وهروبا من واقعه الصارم الكاتم الذي يحظر عليه أي سؤال يتعلق بقدسية التأريخ المزيف في نظره.

- **التاريخ والتزوير:**

إن البطل في الرواية يصف التاريخ بالتحريف والتزوير والكذب، مستعملا اصواتا ذات الايقاع الداخلي المتناسق كالضاد والصاد والقاف والطاء والألف واللام والنون مما يظهر نبرة عالية الشدة، فضلا عن صوت التاء الانفجاري الشديد، فجعلها تعمل على لفت انتباه المتلقي وتمكن من التأثير فيه، وهذا ما يلحظ من قوله: ((عدت إلى الكتاب(اضواء على التاريخ وصدق التدوين) اتصفحه وأقرأ ما دون فيه مسندا مرفقي على فخذي، متابعا ما ذكره المدون المحقق المؤرخ عن موضوع اللاهوت والكهنوت، والالوهية والربوبية المعقدة والمعتنق، الاسطورة والواقع الحقيقة ومدى الكذب فيها والصدق ومدى الاهمال)).[19] وقوله:((أن الكتب مليئة بالتزوبر اي كتاب من أول الكلمات تعرف من هو الكاتب وإلى أية جهة عقائدية وفكرية ينتمي)).[20]ويسأل ((هل هناك حسنات في التاريخ؟)).[21] وفي ختام قصته، يحذر البطل الناس السذج بقوله: ((اياكم والأقوال التي يقذفها السلاطين والكهنة وتستغل التاريخ فالتاريخ رجل مشوه جعلوه بوساطة الغيبيات ابقوا مع السماء لأنها الوحيدة التي تصدق معكم وما جاء من الارض فهو مهلككم)).[22]

- وهو يدعو الى تحكيم العقل واعماله في النصوص التراثية، إذ إن العقل في نظر علماء الكلام والفلاسفة المسلمين هو ((الوسيلة التي يتعرف بها الانسان على الكون من حوله، وهو الوسيلة التي يعقل بها الاشياء إلى ما في بناء العالم من نظام والى ما ورائه من حكمة ويصل من ثم إلى معرفة الله، وهذا تصور المعتزلة والفلاسفة، فحركة العقل المعرفية في تصاعد من جزئيات العالم المدروس الحسي وصولا الى الكليات العقلية والمفاهيم المجردة)) .[23]

- **اختلاق الشخصية الغرائبية:**

بعد عجز البطل عن مكاشفة ومصارحة التأريخ علنا وجهارا بكل صراحة وشجاعة وكشف، حاول اختلاق شخصية تمثل التاريخ هروبا من واقع التابوهات والمحظورات، لغرض مساءلته عن المسكوت عنه، في عملية تخيله، لشخصية رجل التأريخ بقوله:((لم أكن اعرف أن الأمور ستتطور حين انبثق السؤال والاسئلة بعدها عن من المسؤول حتى تخيلته، وكأنه رجل يجلس امامي ويقول انا لأبدا بالاعتراض عليه....وفي بعض الاحيان اناقشه بحدة اتخيله بلباس عصره ونبدا بنقاش فعال حامي الوطيس))[24].

كان في تلك الليلة الأولى قد ((باغتني كنت وحيدا في البيت امي وزوجتي ذهبتا لزيارة قبر ابي.. كان اليت شبه خاو من اية حركة الا من حركة ازرار الهاتف النقال محاولا البحث عن اية معلومة عن التاريخ واستفزاز السؤال داخلي)) .[25] فيبين النص بإيقاع مشدود إلى مضمونه انطلاق البطل بنظرة توجسية استفهامية استغرابية انكارية لتدوين التاريخ بصورة تقصي الحقيقة بأكملها في بعض المواقف والاحداث والازمان والاماكن والاسماء والمسميات المختلف عليها، لأسباب سياسية أو اجتماعية أو دينية أو اقتصادية، تجعل من البطل ينكر مصداقية التأريخ وصحة ما يدوّن لكثرة الاخطاء والتناقضات ما بين المدونين، ((ما هو مدوّن ليس صحيحا، بل بسبب كوارثنا اليوم في اخطاء التدوين وتناقض المدونين)).[26]

وإذا افترضنا أن الراوي العليم (القناع) هنا عبر عن الهواجس الحقيقية للكاتب بتقانة القناع، ويبدو أن الكاتب علي لفة استوحى فكرة روايته وحبكها بما عايشه لمكاتب المتنبي، فأكسبته خبرة ونضجا ومعرفة بأدق تفاصيلها . لذلك فهي تخلو من روح الرواية الكلاسكية من تشويق رومنسي بل اعتمدت على تقانة الرواية الدرامية(الاكشن) مع الغرائبية والحوارية والسيكولوجية والاجتماعية وهذا واضح من الاصوات التي يستعملها في روايته فهي اصوات مجهورة رنانة تنماز بالوضوح السمعي مما جعل روايته سلسلة من الموجات الصوتية المتصلة التي لا تنتهي إلا بعد أن تبلغ في المتلقي مبلغاً عظيماً.

- فهو باستعماله هذه الأصوات يريد من المتلقي أو الجمهور اللاواعي أن يعي التأريخ جيدا، عبر مساءلة التأريخ وكشف المستور واظهار الحقائق كما هي من دون اي انحياز

أو مجاملة أو تزويق أو تزييف،وكما قال بيكون" لا تجعل من عقلك خشبة مسرح" وينطلق من شعار التنويرية " كن شجاعا وانشد حريتك"، اذا الرواية جاءت وعلى لسان كاتبها لمناقشة وكشف المسكوت عنه في التاريخ العربي الاسلامي، كون الكاتب مقتنع بوجود ما مسكوت عنه في التاريخ إذ يقول((لا يوجد عنوان لهذا الكتاب أو ذلك وأن هذا التاريخ خطأ، فكل واحد يمتلك الحقيقة بما يريدها هو، متناسيا أن هناك حقيقة أخرى لدى الآخر)).[27]

- **الافتتاحية الروائية:**

لقد بدأ الكاتب روايته بأصوات الكلمات ذات الوضوح السمعي الافتتاحي المباشر لحوار البطل مع نفسه، فهو يسأل عمّا لوّث التاريخ مما سكت عنه رغما وقصدا وزيفا .لذلك أن المحور الذي دارت حوله الرواية هو (السؤال، لماذا .. ؟!) .فجاء على لسان البطل بأصوات ضمير المتكلم (أنا-نحن) في حواره مع نفسه أو الشخصيات التي ابتدعها واختلقها وتخيلها -كما يقول- أو التي يعيش معها (أمه وزوجته وأصدقاء العمل والجيران).

فكثرةُ الاسئلة والتوتر والاضطراب كانت تنتاب البطل بشكل يومي ولحظي -كما يروي البطل- بسب تضارب افكار وتناقض السلوكيات التي دونها التاريخ عن العرب المسلمين، بشكل دوغمائي مركزي سلطوي تعموي، ما جعل البطل كبائع كتب وخريج قسم التاريخ عاطل عن العمل، فعمل بيع الكتب فرض عليه قراءة مكثفة للكتب وتعامله معها ككيانات حية تعيش وتتحاور معه، فكلما أراد سؤالا طلب كتابا من التأريخ ليحاوره عبر شيخ أو كيان ما اسماه مرة التاريخ ومرة ذا الاسماء ومرة الشيخ أو ..وبهذا قد يكسر أفق توقعات المتلقي نوعا ما للتأثير الجمالي للنص على المتلقي وتسطير تاريخ الادب او العقائد.

من الممكن أن نعد لرواية من الروايات التأريخية والاجتماعية والنفسية والغرائبية، لما تضمنته من شفرات وثيمات ودلالات وأحداث وحبكة وحوار داخلي وخارجي.. كما أن الحكاية دارت أحداثها في شارع المتنبي المعروف ببيع الكتب والتقاء الأدباء والكتاب والشعراء والنقاد وتلاقح الافكار والثقافات ..لذلك نرى أن هناك ثيمة أو شفرة رئيسة وظّفها البطل الا وهي التشفير والتنقل المكاني بطريقة كنائية صوتية، لما سُكِت عنه ايضا، إذ تطرق على عدد كبير

من أماكن بغداد، وهو يقلّب العصور ويحاور شيخها التأريخ ويشير بطريقة أو بأخرى إلى تغير اسماء الأمكنة بطريقة صوتية فلسفية تشير إلى أحداث تاريخية وشخصياته كانت حاضرة ومتفاعلة أو شاهدة على عصر الحدث في المكان الذي تم سلخ هويته رغما عنه من قبل السلطويين وخطابتهم الايديولوجية، لأسباب سياسية أو دينية أو اجتماعية، وصارت هي أيضاً من المسكوت عنه. بخاصة الأمكنة في شارع المتنبي وما يحيط بها من بيوتات وازقة وشوارع ودرابين ..

فالكاتبُ حرّض البطل على تخيل التاريخ-للإجابة عن اسئلته حول المسكوت عنه- بأنه رجل جالس أمامه وبهذا نجد أن الكاتب خلق شخصيته الغرائبية هذه على لسان البطل الذي جعل منها قناعا للكاتب الذي أدار الصراع الفكري والفلسفي والعقائدي، باختلاق شخصية شيخ التأريخ.

وهذا ما انتهجه ايضاً الروائي "أسماعيل فهد أسماعيل" في روايته الكائن الظل، التي ابتدع أيضاً الكاتب شخصية تأريخية غرائبية خيالية ليحاورها عبر كم من الأسئلة يراها مسكوت عنها في التأريخ كصراع الخلفاء الاخوة الامين والمأمون فيما بينهما وصراع المأمون مع عمه المهدي،وبعض القضايا التاريخية المسكوت عنها، وأن اختلفت طريقة السرد بين الروايتين الا أن محورهما الأساس هو السؤال عن المسكوت عنه في التاريخ، والكشف عنه عبر اختلاق شخصية خيالية (قناع)[28]، باستعمال الاصوات التي تعطي تناسقاً فنياً رائعاً، وتجعل المسكوت عنه حاضر في وعي المتلقي .

فالكاتب لفتة، يحاول أن يعرّي التاريخ مما لحق به من لوثات وشبهات وانزياحات وافاعيل واكاذيب وتأويلات، لأسباب سياسية أو دينية أو اجتماعية بحته، ادخلتنا في دوامة من التساؤلات اليومية المكبوتة والمسكوت عنها، بسب الدوغمائية التي تسيطر على الخطاب التأريخي لإخفاء الحقائق ليحل الصمت والكبت والاقصاء في اعماق الشخصية المكبوتة لتسكت عما حرف وزور.

فما نفع الانسان الذي يمتلك العقل والفكر واللغة واللسان لكنه لا يستطيع التعبير عما حوله أو هويته أو تاريخه بشكل موضوعي وصحيح؟!.فالكاتب أراد أن يكشف المسكوت عنه في التاريخ بحوارية الاسئلة الحجاجية المتداولة يوميا على لسان ابسط الناس، ربما ممن يدعون

الثقافة والفلسفة مثلا (المتفلسفين). الاستنكارية. فيسأل الجميع: ((لماذا نتحمل وزر ما حصل؟)).[29] من تدبيج وتبجيل وتدجيج للتاريخ ؟! ويسأل عن المسكوت عنه في قضية الصراع العربي الفارسي الازلي الذي مازالت جذوته قائمة ما بين الشعبين الجارين على الرغم من محاولات الكثيرين ردم الفجوة بين البلدين وتجاوز المسكوت عنه بين البلدين الفاشلة، إذ يقول: ((لماذا نتحمل نار زرادشت مثلا حين تُحرق الايونات، لتبقى الجذور مشتعلة في الانتماء)).[30]

نلحظ أن الكاتب يستعمل مرّة أسلوب الغرائبي في حواره الحجاجي مع شيخ التاريخ، ومرّة يعود إلى واقعه الاجتماعي الصعب، وحواراته الحجاجية مع أمه وزوجته، ما يعكس روح التناقض والاضطراب في شخصيته، كونه يعيش في صراع مع المسكوت عنه في التاريخ، مما له صلته بواقعه والذي انعكس سلبا على حياته ما دعاه ليسأل عن السبب لذلك يقول: ((ربما سأصل إلى حقيقة أن الصدق غائب في حقائق الاشياء بعضها واغلبها حقيقي حصلت، لكن الصدق في تدوينها تنوع وتوزع وتناسل وتشظي)[31] .

ومن هنا يرى أن المدونين قد انزاحوا في مسألة تحديد بيت النبي إبراهيم كمكان تاريخي مقدّس، وسكتوا أو اختلفوا في كشف أهمية ذلك المكان المقدس بالنسبة للأديان الرسالية الثلاثة، وفلسفة وجوده وارتباطه بالآلهة ((لماذا بيت النبي ابراهيم في تلك المنطقة؟ الجميع يسأل عن اجابة للسؤال. أين السماء وما معنى الالهة؟)).[32]

فالكاتب يحاول أن يوجه ضوء كاشفه على المناطق المعتمة والثغرات المسكوت عنها في صياغة ونسج وكتابة التاريخ من قبل السلطة التي جعلت منه خطابا لترسيخ وجودها وسطوتها. إن السمة الغالبة على الرواية سمة الحوارية الحجاجية الغرائبية التأريخية الفلسفية النفسية التي حاول الكاتب فيها أن يبتعد عن السرد التأريخي الخالص لتعد رواية فهو يمازج ما بين السرد التأريخي والسرد الروائي الخالص بالتفريق بين آليات كل سرد وتقاناته .

فبابتعاد الكاتب عن السرد التأريخي البحت عبر تقانات السرد الروائي استطاع أن يخرج من عنق الزجاجة التي حاولت أن تقيده بآليات السرد التاريخي .

فالسردان يعتمدان على سرد احداث متسلسلة وفي فترة زمنية متسلسلة وبشخصيات رمزية ولكن الفارق بينهما هو أن السرد الروائي يعتمد التخييل والغرائبية والحرية في التنقل

والتوظيف الصوتي والكشف والفكر والطرح ..بخلاف التأريخ الذي قد يكون سردا متسلسلا مؤدلجا في كثير من الاحايين لذلك هو حقل الغام للمسكوت عنه الذي حاول لفته كشفه في هذه الرواية، فهو يمايز ما بين الخيال والتأريخ هنا ولم يعتمد على التأريخ وحده، بل وظف جزءا كبيرا من الخيال والغرائبية والجمالية الصوتية والفنية، ما ميز سرده الروائي عن السرد التأريخي الخالص.

فالكاتب في الرواية التأريخية حاول أن يظهر للمتلقي إنه تعايش أو عاش الأحداث ليجعل روايته أكثر اقناعا وقبولا وتشويقا وصدقا لدى المتلقي .

فكما لا توجد حقيقة كاملة ودامغة وكلية في التأريخ كذلك الرواية تقام على تخيلات من نسج أصوات الكاتب لإيهام واستمالة واقناع المتلقي الذي اختاره هو والمسمة بالقارئ الضمني الذي يختاره لقراءة روايته.

- **الشخصيات:**

من الشخصيات الحوارية والمحورية والغرائبية الرئيسة في الرواية، شخصية ذي الاسماء التي دائما ما يسألها البطل عن المسكوت عنه ويحمل اياها السبب إذ يقول: ((وجه لي سؤلا (ذو الاسماء): ما الذي اريده من هذه القرون الاولى قلت له اننا لم نزل نعيش ارتباكات تلك الهجريات تختلف على الوضوء والصلاة والتكبير رغم أن الرسول كان يصلي بهم عشر سنوات فكيف تريدني ان اخوض في سؤال قد يقطع رقبتي؟)) .[33] لكن البطل يصر على استمرار السؤال والحوار والحجاج والمكاشفة والمصارحة للتأريخ،بهروبه إلى شيخه التأريخي. وهو ما فعله ايضا شيخ التأريخ / ذو الاسماء، إذ حاول شغل البطل بأسئلة أخرى أو يلقي باللائمة على البشر أو المدونين أو يثنيه عن رحلة البحث وطرح الاسئلة فيقول:((لا تفكر كثيرا لأنك تتعب ولن يصدقك احد ..قبلك صرخ الكثيرون لكنهم اما قتلوا أو احرفوا أو اعدموا أو نفوا أو شوهت سمعتهم)).[34] وقوله: ((ماذا ينفعك التاريخ وانت تفلت الحاضر من بين يديك لو قرأت كل كتب المدونين لما وصلت الى شيء يريحك)).[35] لذلك ينصحه شيخ التاريخ ذو الاسماء ((إياك والحديث عن المسكوت عنه..فيجيب البطل: واذا لم اتكلم عن المسكوت عنه فلا معنى للكلام غير رياء لايضاهي رياء السياسيين)).[36] ويجيب على من يطلب منه ترك الاسئلة بقوله، ويحاول الاجابة على من يساله لماذا يسأل وعليه أن يترك السؤال يقول: ((أن تفكر يعني انك تتألم الا تفكر

يعني انك ضائع، فكن بين الحالتين حتى لا يضحك عليك الاخرون)).[37] فيصف حالة عدم الرضا التي تملكت شيخ التاريخ خوفا عليه حينما حاول البطل أن يبوح عما في داخله في جمع من الناس في شارع المتنبي: ((لم أكمل الكلام حتى سحبني من جديد وهمس في اذني الا تقترب من المسكوت عنه اخاف عليك... جاؤوا اليك وعلى السنتهم يدور الفسق ويتهمونك بالتهكم والإلحاد ومناهضة التاريخ المجيد والازدراء ... يشير إلى خوف الناس لا يريدون تفكيك المسكوت عنه كما تصفه)).[38]

فيرد عليه بقوله: ((لماذا ايها التاريخ كل هذا التيه ؟اريد الصدق في الحقائق لماذا نحن ضحاياك؟)) .[39] ويذكر جواب ذي الاسماء على اسئلته بإنه التحريف من قبل البشر والكتاب والمثقفين ..((ألم اقل لك لم يترك امثالكم امرا مستقيما على شيء واحد الا وزورتموه او اضفتم اليه او حللتموه بطريقتكم؟!)).[40]فذي الاسماء عزا هذا الزيف التأريخي إلى امثال البطل من الكتاب والمثقفين أو المدونين، لذلك هو جاء للإجابة عن اسئلته ليرد عليها بقوله: قال شيخ التاريخ((أنا جئت لأجيب عن اسئلتك)) .[41]

إن الكاتب احتال على المتلقي في تصويره للبطل بإنه غير عليم ويريد أن يعلم ويفهم ويجد حلا للمسكوت عنه، فكان يطرح اسئلته التأريخية أو الفلسفية أو العقائدية على شيخ التأريخ، بل هو يريد اجوبة مقنعة للأسئلة المسكوت عنها في التاريخ والدين. وربما هو عالم أو اعلم من التأريخ نفسه،لكنه أحتال على التاريخ، لكشف عورته.

ومن الشخصيات الثانوية في الرواية: زوجة وأم البطل التي مارست دور التشويش على البطل، لإبطال مفعول الحدث وثني البطل عن رحلة البحث عن الاجابة لما مسكوت عنه في التاريخ،(محاولة ايجاد اجوبة لأسئلة مسكوت عنها في التاريخ)، وايقاف السرد، بقولها: يذكر نصيحة والدته: ((قالت لي (أمي) اسمع فكّر وناقش واسال في كل شيء الا في قضايا الدين والعقيدة فالجواب هلاكك)).[42]

المبحث الثاني: المسكوت عنه في المكان:

الغرفة كانت المكان الواقعي الرمزي لاستحضار واستنطاق التاريخ الذي تُعرض فيه الاحداث بشكل غرائبي تصويري(سردسينمائي) حواري حجاجي تحقيقي بحثا عن المسكوت عنه عبر تجاربه وحواراته اليومية مع المقربين منه، فيقول: ((استعنت بكل الحوارات، التي دارت بيني

وبين امي وزوجتي عن التاريخ . كنت اسألها كيف استوعبت كل هذه المعلومات بتنافرها)).[43] ويقول: ((كل شيء متعب الدخول الى الاماكن وهي حبلى بالأسئلة يجعلني لا اعير للاشهر اهمية)).[44]

إن قراءة التاريخ ودراسته عبر الرواية التأريخية لغرض تفادي اخطاء الماضي، واستشراف المستقبل للإفادة منه في الحاضر، ومن هنا تأتي أهمية التأريخ وضرورة كشف المسكوت عنه، كونه يتعلق بهوية الانسان بكل ما تعنيه الهوية،اذ اننا نبني افكارنا وتصوراتنا واعرافنا وعلومنا وحياتنا ..على وفق ما قدمه ودونه لنا التاريخ. هو لغرض ويتساءل بسؤال كنائي حجاجي:((لكن نبوخذ نصر أخذ الجيوش ليغزوا العالم من أجل السلطة، فكيف برسم انه كان من أجل السلام ؟!)).[45]

فالكاتب هنا أراد أن يضع الأصبع على الجرح الذي سكت عنه التاريخ، وهو اعمال نبوخذ نصر المزيفة والمتناقضة، والتي كتبها نبوخذ نصر بخطاب سلطوي اقصائي مزوّر ومحرّف حين كان منتصرا ومركزا سلطويا مهيمنا. فيصف المدونين بـ:(كذب المدونون وإن صدقوا)) .[46] يقارنهم بالشعراء .ويتهم كتب التاريخ بالتزوير ومن هنا تأتي مقولة: " التاريخ يكتبه المنتصرون "، وفي غمرة رغبتهم الجامحة في الامتلاك فإن القاهرين ((يولودن من أجل انفسهم قناعة بإن في مقدورهم تحويل كل كائن في هذا العالم الى شيء يدخل اطار قدرتهم الشرائية)).[47] لتأتي دعوة البطل المبطنة للكاتب وعبر قناع البطل أن يحطم اصنام وتابوهات واصنام نبوخذ نصر كشخصية تاريخية رمزية، قد لا تستحق التعظيم والتأليه الذي قدّمه المدونون بشكل سلبي ومزوّر ومحرّف اقرب إلى الكذب والخداع والتدليس. فضلا عن تأليه وتقديس الامكنة التي غيرها هو ومن جاء من بعده كقورش الفارسي والاسكندر المقدوني والاثاريين الغربيين اليهود، وصدام حسين ومن جاء بعده مثلا. فجميعهم تلاعب في تسمية الأمنكة لتوائم خطاب السلطة المركزي الايديولوجي، الذي يتملكه الاقوياء فقط والمنتصرون كما يقول .

يمكن القول إن الرواية ذات طابع حجاجي فلسفي حواري غرائبي. مقتصرة على الكشف والتنوير والحجاج العقلي، وتسعى وراء تحقيق غايتها وهي كشف المسكوت عنه عبر تقانات ووسائل وطرائق وآليات عقلية منطقية تأريخية. فالكاتب يقتفي اثر المؤرخين والمدونين ويكشف حالات التناقض والتضاد فيما بينهم؛ لإيهام المتلقي والتغطية على المسكوت عنه، فيسأل-مثلا-

:عن ((ولادة إبراهيم الخليل: دونتم أن له مكانين للولادة، بل بعض العرب يعتقدون إنه ولد على أراضيهم فإلى اية حقيقة نذهب)).[48] فهذه الاسئلة ذات الاصوات الانكارية الحجاجية المجازية الايحائية، استطاع الكاتب أن يحصر المدونين في زاوية حرجة، طالبا منهم الاجابة عنها بكل وضوح وصراحة ومكاشفة مع المتلقين، الذين ينتظرون منهم اجابات شجاعة وشافية ومقنعة وجريئة، ليقوّموا حاضرهم، ويبنون عليها مستقبلهم . ففكرة الكاتب هي اعادة انتاج وصياغة التأريخ، وتتبع مساره لإعادة ترجمة وتصور وفهم الواقع على وفق تأريخ رصين صادق خالص من كل الشوائب المسكوت عنها فيه .

- **المسكوت عنه في اساطير الاولين:**

في التفاتة أخرى لما سكت عنه في التاريخ الحضاري الأسطوري يتساءل البطل: ((ماذا نعني أن كان جلجامش الها او نصف اله ؟ ماذا يعين نبوخذ نصر قاد الجيوش من أجل التحرير أم من أجل الغزوات؟)).[49] فالبطلُ من خلال استعماله الالفاظ التي تتضمن اصوات المد (الألف، الواو، الياء) والتي تنماز بشدة وقوعها على الأذن لتناسب الغرض المعد لها في الرواية، يوحي بأن المكان المقدّس في اورشليم، قد يكون سبب الغزو والذي مازلنا نعيش الصراع من اجله الى يومنا الحالي، فهو يريد اجابة لبعض المدونات التي اسطرت وألّهت البشر، وقدست الامكنة الرمزية المقدسة التي اكتسبت قدسيتها من اصحابها المقدسين من دون أن تقدّم لنا تحليلا أو عِللا أو ادلّة علمية منطقية تبعدها عن الأسطرة والخرافة وتحيلنا الى الحقيقة الكاملة والناصعة.

وفي سؤاله عن المسكوت عنه حول الجنس العرقي الاصلي للسومريين يقول: ((لم نزل نعيد اجترار القرون الهجرية الاولى. ليس لنا علاقة بالقرون والآلاف السابقة، فتلك لم تحبل سوى بأسطورة تعارك عليها الباحثون وحولوا اقوالهم إلى صراعات مناطقية.. فمنهم من يقول أن هناك شعبا سومريا وليس هناك سومر.. ومن يقول أن الأصل بابل وليس سومر وأن نبي إبراهيم من بابل وليس من اور ..تلك لا تعني من أثر سوى التفاخر ولم تجلب سلاحا للموت، وعذرا للقتل وحجة لإقامة الحجّة والحد واتهام بالردة)) .[50]

- **المسكوت عنه في التأريخ الاسلامي:**

يضع البطل اصبعه على مسالة الخلاف الإسلامي حول ما اختلف عليه في بعض الآيات القرآنية، إذ يقول: ((ليس هذا كثير انشغالنا بهذا الثلث (الثلث الاشكالي في التاريخ) لنكون ضحاياه مثل آيات الاختلاف في القرآن التي تصل إلى 500 آية من مجموع الآيات الكلية، التي يصل عددها 6348 اية مع البسملة حتى صرنا اسرى آيات الاختلاف اكثر منها آيات التطابق والقبول)).[51] لا اشك في أن هناك في تراثنا القديم وعلى مستوى تفسير النص الديني (القرآن) ((تلك التفرقة الحاسمة بسبب ما اطلق عليه: التفسير " بالمأثور وما اطلق عليه " التفسير بالرأي " إلى الوصل إلى معنى النص عن طريق تجمع الادلة التاريخية واللغوية، التي تساعد على فهم النص فهما موضوعيا أي كما فهمه اللغوين التي يتضمنها النص وتفهمها الجماعة . أما ((التفسير بالرأي) أو "" التأويل " فقد نظر اليه على اساس انه تفسير غير موضوعي، لأن المفسر لا يبدا من الحقائق التاريخية والمعطيات اللغوية، بل يبدأ بموقفين الراهن محاولا ان يجد في " القران " النص سندا لهذا الموقف، وقد اطلق الاتجاه الاول أهل السنة السلف بين العالم .. بينما كانت النظرة إلى أصحاب الاتجاه الثانية منهم الفلاسفة والمعتزلة والشيعة والمتصوفة نظرة حذر وتوجس وصلت في أحيان كثيرة إلى التكفير وحرق الكتب)) .[52]

والكاتب في سرده الاستجوابي هذا يتخذ أسلوب (الفلاش باك) العودة إلى التاريخ من خلال الحاضر الان. بوسيلة الاستحضار التخيلي والحوار الغرائبي. فيسأل شيخ التاريخ عن المسكوت عنه حول الاقتتال الدموي بين الخلفاء الراشدين الرغم من كونهم اخوة ويمثلون الخلافة الاسلامية وهذا تناقض واضح وفاضح، تم السكون عنها، فيسال:((هل الايمان وصل عندهم إلى درجة انه يسمح لكل منهم بقتل ابيه او اخيه من اجل الحكم ؟!)).[53] فالكاتبُ بسؤاله هذا يحتج على تناقض ممن نصبوا انفسهم خلفاء على المسلمين لتطبيق العدالة السماوية، لكنهم لم يطبقوا الاسلام في العلاقة ما بينهم وبين الرعية، وبهذا السكوت التاريخي ضاع الكثير من الحقائق الغامضة والمسكوت عنها، التي سكت عنها المدونون وساد خطاب السلطة الاقصائي الى يومنا هذا. فقد ثبتت بلا وعي المسلمين وعشعشت وباضت وفرّخت في عقولهم الى درجة الصراع والاقتتال والتناحر الدموي المسموم والمحموم، جراء مواقف مخزية يندى لها جبين التاريخ

الانساني.! فمن الغريب ان ابن كثير في (البداية والنهاية) يرى ان دولة بني امية دولة الجهاد والقتال، التي توسّعت في تاريخها وجهادها وافعالها، ونشرت الاسلام في كل مكان وملئت قلوب الكفار والمشركين رعبا من هذه الدولة ؟؟! لذلك يسال البطل شيخ التاريخ باستنكار واستغراب وحجاج وربما تهكم بقوله: ((..اسالك عن البيعات للخلفاء الاوائل واللواحق، وهم يقتل بعضهم بعضا ؟وهم من بطن واحدة! اسالك عن الكتب التي الفت، لتجعل الناس متفرقين الى ملل متعصبة واحدة تقتل الاخرى، اسالك عمن ارتبط بالسماء من اجل التحكم فيمن في الارض)).[54] يقيم " هيرش" ((الفرق بين المعنى الذي اراده المؤلف (القصد) وبين المعنى الكامن في النص. ولا يهمنا في النص الادبي ما يعنيه المؤلف او ما كان يقصد منه النص وهذا المعنى يمكن الوصول اليه من خلال فحص الاحتمالات العديدة, التي يمكن ان يعينها النص ويجب على التفسير أو الهرمنيوطيا أن تأخذ على عاتقها هذه المهمة وأن تشرك مجال مغزى النص بالنسبة للقارىء أو للعصر النقد الأدبي)) .[55]

ومن المسكوت عنه أيضاً ما جاء على لسان أمه، وهي وتسأله امه -التي تحاول التشويش عليه- لكي لا يقع في المحظور((لماذا تسال دوما؟ كل شيء عند القدير مقدر، فلا ترهق نفسك بالسؤال فبعض الاجابات ألعن وأقسى وأمر)).[56] فأمه ارادت أن تغلق عليه طريق الاسئلة بأن لا يشغل نفسه بأقدار وامور قدرها الله ((إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ)) القمر/49. وفيها اشارة إلى اشكالية فقهية، ومفارقة فلسفية، إذ إن ما يصدر من البشر كافة بقضاء وقدر وغاية وحكمة من الله كما هو متداول بين الناس، الذين علّقوا كل امالهم واحلامهم على القضاء والقدر من دون السعي لطلب ارزاقهم وانتزاع حقوقهم واعمال افكارهم .وبهذه الرؤية يصبح الله غير عادل كون جميع من يخطأ هو مسؤول عنه .عندما نحاول تحليل تلك القدرية التي يتميز بها المقهورون سنجد أن ((لها جذورا اجتماعية وتاريخية فهي غالبا ما تقترن عندهم بالحظ والمصير الذي هو من صنع الله ولا يد للإنسان فيه، فمن خلال ممارسة المقهورين للسحر والاساطير يصل الفلاحون إلى قناعة مؤداها أن كل ما يلحق بهم من عناء واستبداد هو من مشيئة الله وكان الله هو سبب هذه الفوضى المنظمة)) .[57]ويستغرب البطل من سؤال والدته من الإمام الكاظم (عليه السلام) اثناء الزيارة بقوله: تحوّل السؤال الى جمرة موقدة عن معنى ولو بطريقة التوسل)).[58]

وفي التفاتة ومفارقة مائزة من الكاتب يروي على لسان بطله المقنع حادثة تعاطف وتفاعل الرجل المخمور معه خلال لحظات الانفجار، إذ يقول: ((تحركت اجزاؤه نحوي (الانتحاري) فيما كانت الصورة تعرض رأس الانتحاري وهو يخرج من نافذة السيارة المفخخة ليطير في الهواء ويحط فوق سطح إحدى بنيات شارع الرشيد، كانت يد أبي تستغيث والناس تصيح الله أكبر، فيما صوت الانتحاري وهو يكبّر صار يتردد مثل لعنة شيطان .. شعرت به يجلس(المخمور) إلى جانبي يروض في داخلي الخوف والحزن.. سمعته بصرخ (المخمور) الجميع يقول: الله أكبر إلى من سيستمع الله ؟! دفعت ذا الاسماء عن كتفي وقلت له: أجب الرجل (المخمور) عن سؤاله)).[59]

فالكاتب المقنع بقناع البطل أراد من خلال الفاظه التي استعملها في روايته والتي تنماز بالانسجام والرنين العالي أن يوصل لنا ما سكت عنه زمنا طويلا، وهو المتداول بين الناس من أن بعض المخمورين، اصدق مشاعرا واقل خيانة ونفاقا واقوى حجّة ومنطقا وان كانوا منبوذين من المجتمع ومطرودين من جنة الله، أن الواقع الاجتماعي القهري هو نتيجة حتمية ((للتناقض القائم بين القاهرين والمقهورين، إذا كانت مسؤولية المقهورين تحتم عليهم النضال من أجل استعادة حريتهم (وحقوقهم) مع اولئك المتضامنين معهم، فان ذلك يفرض على حقيقة الاضطهاد خلال عملهم النضالي. فمن اصعب الامور التي تواجه العمل النضالي من اجل الحرية، هو أن حقيقة القهر تفرض سطوتها على قلوب الرجال وتجعلهم مستغرقين فيها)).[60]

ويسأل البطل شيخه التاريخ بسخرية أو مفارقة ساخرة عن سبب فرح المسلمين بانتصار الروم على الفُرس الجيران، في إشارة إلى ثغرة تأريخية مسكوت عنها في التأريخ الإسلامي المركزي أو التداولي الاجتماعي، إذ يقول:((كيف يمكن تفسير فرح المسلمين بانتصار الروم على الفُرس؟!)).[61] ويسأل البطل عن المسكوت عنه حول ما سبب وماهية فلسفة الموت المتعمد والمقود من قبل البشر عبر صراع الخير والشر، والمسكوت عنها في تاريخ الانسانية،وما الغاية منه،((لماذا كل هذا الموت ؟!)).[62]

- **سلطة الخطاب وتحول الاعتقاد:**

وفي حالة من اليأس والقنوط والاحباط والتراجع والخواء، يصف البطل أقرانه من الشباب الخريج أو العاطل عن العمل،بـ"جيل الطماطم" جيل الشباب اللاوعي بالمسكوت عنه والراضخ

لجميع الضغوطات والمكبوتات التي تُمارس ضدّه وكأنها حتميات هووية قدرية في صراع الانا والاخر، بقوله: ((أن هذا الجيل يفضل الحصول على طماطم وثلاث بيضات يأكلها صباحا افضل من كتاب يولد لديه صدمة التاريخ،ويفضل الموبايل على الكتب !!)).[63] وفي نهاية الرواية يصدمنا الروائي بتخلي البطل عن اسئلته وعدوله عن التعيين في دوائر الدولة، بعد قناعته بصعوبة تجاوز المسكوت عنها في ظل التابوهات والمحظورات الدوغمائية السلطوية، بقوله: ((طمأنت امي بجهوزيتي للتلاؤم مع الواقع الجديد وسأسعى، لأكون بخير وأكثر جدية في العمل وانفض من بالي فكرة الحصول على تعيين في دوائر الدولة فخريجو قسم التاريخ غير مرغوب فيهم في المدارس، والثانويات على عكس اللغة الانكليزية))).[64] معللا هذا النكوص والعدول والاستسلام منه بأن ((كان الكتاب القديم والرجل القديم الاسطوري قد منعاني القدرة على السعي للإماطة اللثام عن الاشياء المريرة التي راودتني بعد الفاجعة، لكنه غائب عني ربما ازعجته بأسئلتي)).[65] وردّ عليه شيخ التأريخ ((اذا كنت جبانا فلماذا توقظني كل حين بحجة البحث عن إجابات صادقة؟)).[66]

الخاتمة والنتائج:

الحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين

وبعد... فقد توصل هذا البحث إلى النتائج الآتية:

- بين البحث أن الكاتب علي لفته سعيد استعمل في روايته الالفاظ المترابطة، والمتناغمة، والمنسجمة صوتياً، مما جعلها قادرة على التأثير في مشاعر المتلقين وأحاسيسهم .

- إن ثيمة كشف المسكوت عنه في التاريخ أو التراث التي وظفها الكاتب علي لفته سعيد في هذه الرواية ومنحها عنوانا يوجز متنها " سؤال النار"، قرّت في كثير من السرديات التراثية والحديثة والمعاصرة وستبقى؛ كونها تتعلق فيما لا يمكن البوح به إلا بالهروب عن الواقع القهري، المتواطئ مع التابوهات الاصولية، التي تتخذ من القدسية حجّة لها .والكاتب لفته وان اجترح عنوان ومتن روايته ممن سبقه لكن هذا التكرار يأتي للتأكيد على خطورة المسكوت عنه وضرورة معالجته، كونه اضرّ بالبشرية .

- لاشك في أن افتتاحية الرواية اوحت بوجود توتر وتناقش واشكالية لدى البطل جراء ما يحدث من مسكوت عنه في التاريخ ما ارّق البطل كثيرا وانعكس ذلك على احداث الرواية الدرامية، التي اكتظّت بالأحداث المأساوية والتشاؤمية، وربّما انطلق الكاتب من كوجيتور ديكارت" انا افكر إذا انا موجود" محمّلا بمسحة تشاؤمية لشونهارو، مما يجري من تحريف وتزييف ومسكوت عنه في التأريخ.

-إن التحوّل الفكري في شخصية البطل من شخصية الاستقرار والاطمئنان والسكوت عمّا زيف في التاريخ إلى التمرد والحجاج وعدم السكوت والازعاج في الاسئلة الى الاقتناع والتسليم والاذعان والقنوط والقبول، كان سببه التفجير الارهابي، الذي اودى بحياة والد البطل من دون ذنب أو سبب، سوى أنه ضحية ما سُكت عنه في التأريخ الإسلامي، الذي اشعل الصراع والخلاف بين المسلمين إلى يومنا هذا .

- أما الادوات والاليات السردية التي اعتمدها أو وظفها الكاتب فهي: اعمال العقل في اقتفاء أثر التاريخ والمعتقد، المجتمع، الواقع، الخيال، التخييل، الوصف، الحوار،الكسر، المفارقة، الغرائبية، استنطاق الكتب او الشخصيات المعنية، الحجاج، الكناية، التصوير.. وتأويل ما يجري من تعتيم على المتلقين .

- توزعت الشخصيات في الرواية ما بين مركزية وثانوية: فالشخصيات الرئيسة(البطل، ذو الاسماء) والثانوية(الام والزوجة واصدقاء العمل والجيران). والكاتب وصف شخصيته من الناحية الفكرية والفلسفية والوظيفة الاجتماعية، والعمل والثقافة، فضلا عن البعد النفسي والاجتماعي، إذ تعاني شخصية البطل من اضراب وقلق وتوتر نفسي مزمن جراء المسكوت عنه . الذي يروي هو الكاتب نفسه بشخصية البطل الذي اتخذ منه قناعا للمسكوت عنه في التاريخ والذي يأرق الكاتب يوميا، فالكاتب حكى روايته عبر شخصية البطل (القناع).

- تلاعبُ الكاتب بأصوات ألفاظ الكلمات مما ساعد في كسر رتابة الزمان والمكان والحدث من حيث التنقل المفاجئ، والتركيز على إبلاغ رسالته وإيصالها إلى المتلقي.

-لاشك في أن الكاتب استطاع توظّيف بعض تقنيات السرد الحديثة وتكرارها بشكل ملحوظ (الفلاش باك والحوار والوصف)، مما منح القارئ فرصة للتأمل وكسر الرتابة والملل.

وآخر دعوانا أن الحمد لّله ربّ العالمين

الهوامش

[11]-ينظر: لسان العرب: ابن منظور،دار السياب،بيروت/ لبنان:43/6. و: الصحاح في اللغة: اسماعيل بن حماد الجوهري، تحق: احمد عطا، دار الكتاب العربي، القاهر/ مصر: 252/1.ومختار الصحاح: محمد بن ابي بكر عبد القادر الرازي،دار الرسالة، الكويت 306/1.

[2]-ينظر: السكوت واثره على الاحكام في الفقه الاسلامي: رمزي محمد دراز، دار الجامعة الجديدة، د.ط.، 2004:7.ونقد الخطاب الديني: د. نصر حامد ابو زيد، مكتبة مدبولي، القاهرة / مصر،ط4، 20023: 270، والخطيئة والتكفير:عبد الله الغذامي، النادي الادبي الثقافي/27، جدة، 1985: 120.

[3]- اشكاليات القراءة واليات التأويل : نصر حامد ابو زيد، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء / المغرب بيروت / لبنان، مؤمنون بلا حدود، 2014:6.

[4]-سؤال النار:علي لفتة سعيد،اسكاريب للنشر والتوزيع، د. ط، مصر، د.ت: 183.

[5] - يُنظر: موسيقى الشعر، د. إبراهيم أنيس: 34 .

[6]-اشكالية القراءة واليات التاويل: نصر حامد ابو زيد: 193 .

[7]- : الحجاج رؤى نظرية ودراسات تطبيقية، مجموعة مؤلفين، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، اربد، الاردن، 2015 287 .

[8]- سؤال النار: 7 .

[9]-المصدر نفسه.

[10]- المصدر نفسه: 205 .

[11]-سؤال النار: 161 .

[12]-المصدر نفسه: 7-8 .

[13]- اهم نظريات الحجاج في التقاليد العربية من ارسطو الى اليوم، جامعة الاداب والفنون في العلوم الانسانية: هشام الربقي، شكري المبخوت، منوبة تونس، د.ت . د. ط: 117

[14]-سؤال النار: 186 .

-[15]سؤال النار:8 .

[16]-المصدر نفسه:181 .

[17]- روح الارهاب : هان بودريار: تر: بدر الدين عروكي، مكتبة الاسرة،ط2، 2010، القاهرة، مصر: 29 .

[18]- تعلم المقهورين: باولو فرايري، تر: وقدمه:د.يوسف نور عوض،دار القلم،د. ت، بيروت/ لبنان: 41.

[19]-سؤال النار: 140 .

[20]-المصدر نفسه: 146 .

[21]-المصدر نفسه: 96 .

[22]-المصدر نفسه: 238 .

[23]-اشكاليات القراءة واليات التاويل: 55-56.

[24]-سؤال النار: 8-9 .

[25]-المصدر نفسه: 206 .

[26]-اسؤال النار: 9 .

[27]-المصدر نفسه .

[28]-انظر: الكائن الظل: اسماعيل فهد اسماعيل، دار الهلال،د.ط.، د.ت.: 7-9.

[29]-سؤال النار: 33.

[30]-المصدر نفسه.

[31]-المصدر نفسه.

[32]-المصدر نفسه:33.

[33]-سؤال النار: 115 .

[34]-المصدر نفسه: 146

[35]-المصدر نفسه: 119 .

[36]-المصدر نفسه: 182.

[37]-المصدر نفسه: 135 .

[38]-المصدر نفسه: 238 .

[39]-سؤال النار: 210 .

[40]-المصدر نفسه: 102.

[41]-المصدر نفسه: 207.

[42]-المصدر نفسه: 97 .

[43]-المصدر نفسه: 39 .

[44]- سؤال النار:160 .

[45]-سؤال النار: 41.

[46]-المصدر نفسه: 143 .

[47]-تعلم المقهورين: 39.

[48]-سؤال النار:143 .

[49]-سؤال النار: 51 .

[50]-المصدر نفسه: 115 .

[51]-المصدر نفسه: 187 .

[52]-اشكاليات القراءة واليات التاويل: 15 .

[53]-سؤال النار: 53.

[54]-المصدر نفسه: 107 .

[55]-اشكاليات القراءة واليات التاويل:48 .

[56]-سؤال النار: 56 .

[57]-. تعلم المقهورين: 41

[58]-سؤال النار: 93.

[59]-سؤال النار: 228 .

[60]-تعلم المقهورين: 33.

[61]-سؤال النار:156 .

[62]-المصدر نفسه: 60 .

[63]-المصدر نفسه: 141 .

[64]-سؤال النار: 184.

[65]-المصدر نفسه: 185.

[66]-المصدر نفسه: 115 .

المصادر والمراجع:

- اشكاليات القراءة واليات التأويل : نصر حامد ابو زيد، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء / المغرب بيروت / لبنان، مؤمنون بلا حدود، 2014.

- اهم نظريات الحجاج في التقاليد العربية من ارسطو الى اليوم، جامعة الاداب والفنون في العلوم الانسانية: هشام الربقي، شكري المبخوت، منوبة تونس، د.ت . د. ط .

-تعلم المقهورين: باولو فرايري، تر: وقدمه:د.يوسف نور عوض،دار القلم،د. ت، بيروت/ لبنان .

-الحجاج رؤى نظرية ودراسات تطبيقية، مجموعة مؤلفين، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، اربد، الاردن، 2015.

- الخطيئة والتكفير:عبد الله الغذامي، النادي الادبي الثقافي/27، جدة، 1985.

- روح الارهاب : هان بودريار: تر: بدر الدين عروكي، مكتبة الاسرة،ط2، 2010، القاهرة، مصر.

- السكوت واثره على الاحكام في الفقه الاسلامي: رمزي محمد دراز، دار الجامعة الجديدة، د.ط.، 2004.

-سؤال النار:علي لفتة سعيد،اسكاريب للنشر والتوزيع، د. ط، مصر، د.ت: 183.

- الصحاح في اللغة: اسماعيل بن حماد الجوهري، تحق: احمد عطا، دار الكتاب العربي، القاهر/ مصر.

- الكائن الظل: اسماعيل فهد اسماعيل، دار الهلال،د.ط.، د.ت.

- لسان العرب: ابن منظور،دار السياب،بيروت/ لبنان .

-مختار الصحاح: محمد بن ابي بكر عبد القادر الرازي،دار الرسالة، الكويت .

-نقد الخطاب الديني: د. نصر حامد ابو زيد، مكتبة مدبولي، القاهرة / مصر،ط4، 2023